علم المناسبة في سور القرآن وآيه

د. عبدالمجيد حميد جبر الحمداني

The science of similarity in Surah Quran of and verse of .definition, the importance and the situation

PHD;Abdul Majeed Hameed Jabur Al-Hamdany

1. the science similarity is an important pillar of Quran and a strong aspect of inimitability aspects
2. the arrangement of verses are suspended (from order of the prophet Mohammed (PBUH) ,on this was the consensus but Surah some said they are suspended and other said they are discretionary other said some of them said they are suspended the other have said some of them discretionary and the right from me is what public said
3. the arrangement of verses and surah were not by ending of Quran so; understanding the similarity is awareness on the interrelating aspect between the names of surah and verses
4. There are proportions between the beginning of surah and their endings and proportions of the endings for the beginnings
5. The science of similarity works on discretion but the disciplined discretion is according to religion approach

La science de la circonstance dans les sourates coraniques et ses versets… sa définition, son importance et sa position

D.Abdul Al Majid Hameed Jabr Al-Hamdani...

1. La science de la circonstance constitue un pilier important parmi les sciences du coran et un fort aspect dans les objets du miracle …

2. L'ordre des versets est stable en consensus, mais pour l'ordre des sourates, l'assemblée des scientifiques vont qu'il est aussi stable, et d'autres vont qui lest diligeant, et les autres vont que certains d'eux sont stables, et les autres vont qu'ils sont diligeants, mais ce qui préférable chez moi c'est ce que l'assemblée des scientifiques s'accordent…

3. L'ordre des sourates et des versets n'est pas selon la descende de Coran, ce qui indique le classement circonstanciel. Le débout sur la circonstance c'est de se tenir sur les liens entre les noms des sourates et leurs sujets d'une part, et entre les sourates et les versets d'autre part…

4. Il ya une accordance entre les debuts des sourates et leurs fins et les fins avec leurs debuts…

5. La science de la circonstance se forme parfois sur la diligence, une diligence disciplinée en conformité avec les principes de la religion et son approche, et loin de l'affectation et de la dependence…

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المعلم الهادي الأمين سيد الأولين والآخرين، المبعوث رحمة للعالمين، محمد بنعبد الله، أصلي وأسلم عليه وعلى آل بيته الأبرار، وصحابته الأطهار، ما تعاقب الليل والنهار وبعد:

الحمد لله القائل: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [سورة هود: الآية ١] وقال عز من قائل: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[سورة البقرة: الآية ٢]، الحمد لله الذي أكرمنا بهذا القرآن، وهدانا بتلاوته وتعلمه وتدبره، وجعله المعجزة الخالدة التي لا تنقضي عجائبها، ولا تخلق على كثرة الرد، فكان نبراساً للأمة ونوراً ورشداً إلى يوم الدين وحظي بما لم يحظ به كتاب من العناية والرعاية، فهيأ الله له أخياراً تعلموه وعلموه وحفُّوه بصنوف من العلوم التي تنهل منه ثم تعود لتصب فيه.

والحق أن من الموضوعات والقضايا التي يحسن التوقف عندها وتحقيقها، وبيان القول فيها ؛ موضوع علم المناسبة، سواءٌ أكان ذلك التناسب في أسماء السور، أم بين السور نفسها، أم كان بين الآيات بعضها لبعض.

فجاء اختياري لهذا الموضوع رغبةً مني في الكشف عن هذا العلم، وأهميته، وآراء العلماء فيه قبولاً ورداً، ومن ثم الترجيح بين الأقوال، ورغبةً في الغوص في أسرار القرآن الكريم، ووجوه إعجازه.

هذا وكلي أملٌ أن أفي الموضوع حقه، بدون تطويلٍ ممل، ولا اختصار مخل، فإن أحسنت وأجدت ؛ فهذا الذي أردت، وإن كانت الأخرى ؛ فبحكم بشريتي، وأبرأ إلى الله من أي نقصٍ كان، وحسبي أنني لم آلُ جهداً، ورحم الله القائل:

إن نجد عيباً فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

وفي الختام أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد، وأن يجعله في ميزان حسناتي، إنه ولي ذلك در عليه، والله من وراء القصد.

خطة البحث

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع تقسيمه إلى فصلين يحتوي كل واحد منهما على أربعة مباحث تتضمن عدة مطالب هذا بيانها:

الفصل الأول: **علم المناسبة ومتعلقاته**:

المبحث الأول: مدخل إلى مفهوم الآية والسورة وترتيبهما.

المطلب الأول: مفهوم الآية والسورة. **المطلب الثاني:** ترتيب الآيات والسور.

المبحث الثاني: تعريف علم المناسبة.

المطلب الأول: مفهوم المناسبة في اللغة. **المطلب الثاني:** علم المناسبة في الاصطلاح.

المبحث الثالث: أهمية علم المناسبة وتاريخ التصنيف فيه.

المطلب الأول: أهمية علم المناسبة. **المطلب الثاني:** تاريخ التصنيف في علم المناسبة.

المبحث الرابع: موقف العلماء من علم المناسبة.

المطلب الأول: المؤيدون. **المطلب الثاني:** المعارضون. **المطلب الثالث:** الرأي المختار.

الفصل الثاني: **موضوعات علم المناسبة**:

المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها.

المطلب الأول: في حكم أسماء السور ومناسبتها لموضوعاتها. **المطلب الثاني:** نماذج تطبيقية.

المبحث الثاني: التناسب الموضوعي في السورة الواحدة.

المطلب الأول: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها. **المطلب الثاني:** مناسبة خاتمة السورة لموضوعاتها. **المطلب الثالث:** مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

المبحث الثالث: المناسبة بين السورتين المتجاورتين.

المطلب الأول: مناسبة فاتحة السورة لفاتحة ما بعدها. **المطلب الثاني:** مناسبة خاتمة السورة لفاتحة ما بعدها. **المطلب الثالث:** التناسب الموضوعي بين السورتين المتجاورتين.

المبحث الرابع: المناسبة بين الآيات المختلفة.

المطلب الأول: الأسباب الظاهرة للمناسبة بين الآيات. **المطلب الثاني:** المناسبة المشكلة في الآيات. **الخاتمة**.

الفصل الأول

علم المناسبة ومتعلقاته

المبحث الأول: مدخل إلى مفهم الآية والسورة وترتيبهما.

قبل الحديث عن ترتيب آيات القرآن وسوره لا بد لنا من الوقوف على معنى الآية والسورة، فأقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول: مفهوم الآية والسورة.

أولاً: معنى الآية:

تطلق الآية في اللغة على معانٍ متعددة متقاربة وهي [1]:

١. **العلامة**، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٤٨]، أي: علامة ملكه، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة آل عمران: الآية ٤١].

٢. **المعجزة**، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٥٩] وكذلك قوله: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١١]، أي معجزة واضحة.

٣. **العبرة:** ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ﴾ [سورة الشعراء: الآية ١٩٠]، أي عبرة لمن يعتبر.

---

(١) انظر هذه المعاني في مناهل العرفان: الزرقاني: ١ / ٢٣٩، وإتقان البرهان: فضل عباس: ١ / ٣٢٩ – ٤٣٠.

٤. **الأمر العجيب:** نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ٥٠].

٥. **الدليل والبرهان:** نحو قوله جل ذكره: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [سورة الروم: الآية ٢٢] والمعنى أن من براهين وجود الله واقتداره واتصافه بالكمال خلق عوالم السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان.

أما المعنى الاصطلاحي للآية فتُعرَّف بأنها: " طائفة من القرآن ذات مبدأ ومنتهى مندرجة في سورة، يسمى آخرها فاصلة " (١).

وبهذا المعنى تتضح العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لأن الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار غيرها إليها، ثم هي علامة على صدق الرسل عليهم السلام، وفيها من العبرة والعظة لمن أراد أن يتذكر أو يعتبر، وهي دليلٌ على صدق الرسول ﷺ في رسالته (٢).

ثانياً: معنى السورة:

السورة في اللغة هي المنزلة، أو هي مأخوذة من السور ؛ وذلك لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة، أو لما في السورة من معنى العلو الرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسية(٣).

أما عن المعنى الاصطلاحي للسورة فهي: طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع واسم خاص بها يميزها عن غيرها بتوقيف من النبي ﷺ (٤).

ولمعرفة الآيات والسور فوائد جمة أذكر منها على سبيل الإجمال أهميتها في معرفة إعجاز القرآن ومعرفة الوقوف وتيسير الحفظ، والإعانة على صحة الصلاة فضلا عما لها من الأجر العظيم في التلاوة وقيام الليل (١).

---

(١) إتقان البرهان: فضل عباس: ١ / ٤٣٠.

(٢) انظر: مناهل العرفان: الزرقاني: ١ / ٢٣٩.

(٣) انظر: مناهل العرفان: الزرقاني: ١ / ٢٤٧.

(٤) انظر: الإتقان: ١ / ١٤٧، وإتقان البرهان: فضل عباس، وسيأتي الحديث عن الرأي الراجح في تسمية سور القرآن في حينه.

المطلب الثاني: ترتيب الآيات والسور.

أولاً: ترتيب الآيات: إن ترتيب آيات القرآن على هذا النحو الذي نراه اليوم في المصاحف بتوقيف من النبي ﷺ ولا مجال للرأي والاجتهاد فيها.

يقول السيوطي: " الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين " (٢).

ثانياً: ترتيب سور القرآن:

أما بالنسبة لترتيب سور القرآن ففيه خلاف بين أهل العلم على ثلاثة أقوال: الأول: أنه توقيفي وهو مذهب الجمهور (٣)، الثاني: أنه اجتهادي، الثالث: بعضه توقيفي وبعضه اجتهادي من الصحابة.

والرأي الذي يعضده نظم القرآن وتعززه الأدلة هو ما ذهب إليه جمهور أهل العلم وهو أن ترتيب السور بتوقيف من النبي ﷺ، وفي ذلك يقول الكرماني: " ترتيب السور هكذا هو عند الله هكذا في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولاً: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[سورة البقرة: الآية ٢٨١] فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين"(٤).

---

(١) للاستزادة عن هذه الفوائد، انظر: مناهل العرفان: ١ / ٢٤٣- ٢٤٧، وإتقان البرهان: فضل عباس: ١ / ٣٢.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي: ١ / ١٦٧.

(٣) بخلاف ما ذكره صاحب الإتقان من أن رأي الجمهور أن ترتيب القرآن بعضه توفيقي والآخر اجتهادي، انظر: إتقان البرهان: فضل عباس: ١ / ٤٤٩.

(٤) البرهان، الزركشي: ١ / ٥٤.

وكذلك ينقل السيوطي عن أبي بكر الأنباري قوله: " أنزل القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمرٍ يحدث، والآية جواباً لمستخبر ويوقف جبريل النبي ﷺ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن"(١).

والأدلة على ذلك كثيرة أذكر منها على سبيل الإجمال دليلين محيلةً الأخرى إلى مظانها:

أولاً: ما أخرجه البخاري من رواية بن مسعود ﷺ قال: " بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن العتاق الأول وهن من تلادي " (٢).

ثانياً: ما أخرجه ابن ماجه في سننه من حديث أوس بن حذيفة قال: " قدمنا على الرسول ﷺ في وفد من ثقيف، فقال النبي ﷺ: وإنه طرأ عليّ حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتمه، قال أوس: فسألت أصحاب النبي ﷺ: كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وحزب المفصّل وحده" (٣).

ولا يخفى على المتأمل دلالة هذين الحديثين على ترتيب سور القرآن، فقد دل الحديث الأول على ترتيب بعض سور القرآن، كما دل الثاني على ترتيب سور القرآن كلها ؛ إذ لو جُمِعت الأحزاب الستة الأولى كانت ثمانية وأربعين دون الفاتحة – لقصرها – فهذه تسع وأربعون سورة، ويبقى حزب المفصّل ابتداء من سورة ﴿قٓ﴾ وهو خمس وستون سورة – مع الفاتحة ست وستون سورة – فهذه مائة وأربع عشرة سورة (٤).

(١) الإتقان: ١ / ٧٧١.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير باب تفسير سورة الإسراء: ٨ / ٣٨٨.

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة: ١ / ٤٢٧، وانظر: رواية أحمد في مسنده: ٢ / ١٦٣.

(٤) انظر: إتقان البرهان: د. فضل عباس: ١ / ٤١٥ – ٤٦٢.

المبحث الثاني: تعريف علم المناسبة.

المطلب الأول: مفهوم المناسبة في اللغة.

المناسبة في اللغة هي: " المشاكلة" [١] ويقال بين الشيئين مناسبة وتناسب أي: مشاكلة وتشاكل[٢].

والنسب هو: القرابة "[٣]، ويقال ناسب الأمر أو الشيء فلاناً: لاءمه ووافق مزاجه، ويقال رجل نسيب: شريف معروف حسبه ونسبه وأحواله [٤].

وعليه فإن الذي يلحظ على هذه المعاني اللغوية لمعنى المناسبة أنها تدور حول الترابط والتقارب والتناسب والملاءمة على نحو إيجابي رفيع.

ولا يخفى ما لهذا المعنى من تعلق واضح بمفهوم علم المناسبة في الاصطلاح كما سيأتي في المطلب القادم.

المطلب الثاني: علم المناسبة في الاصطلاح.

درج كثير من المتقدمين ممن عرف علم المناسبة بقولهم: " هو علم يبحث في ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، وارتباط سوره وترتيبها كذلك " [٥].

وممن عرفه من المعاصرين الدكتور أحمد فرحات قائلاً: " هي وجوه الارتباط بين الآيات والسور طبقاً لترتيب التلاوة في المصحف العثماني " [٦].

والذي يُلحظ على هذين التعريفين – مع وجاهتهما – قَصرُ المناسبة على الآيات والسور، وما أميل إليه – حسب ما سأبينه في الفصل القادم – أن المناسبة تدور حول ثلاثة محاور هي: مناسبة اسم السورة لموضوعات السورة، ومناسبة السور

---

(١) القاموس المحيط: الفيروز أبادي: ١٧٦.

(٢) تاج العروس: الزبيدي: ٤ / ٢٦٠.

(٣) لسان العرب: ابن منظور، حرف الباء، فصل النون: ١ / ٧٥٥.

(٤) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون: ٩١٦ – ٩١٧.

(٥) انظر: الإتقان:السيوطي: ٣ / ٢٨٨ – ٢٨٩.

(٦) في علوم القرآن: أحمد فرحات: ٧٠.

لبعضها البعض، ومناسبة الآيات لبعضها البعض، سواءٌ أكان التناسب في مجموعات الآي في السورة الواحدة، أو الآيات المختلفة بعضها لبعض.

وعليه فإن التعريف المختار لعلم المناسبة – حسب ما ترجح عندي – والله أعلم: أنه علمٌ يبحث في وجوه الاتصال والترابط بين أسماء سور القرآن لموضوعاتها وبين سور القرآن بعضها لبعض، وبين آياته كذلك وفق ترتيب التلاوة في المصحف العثماني.

أما عن وجه الاتصال والربط فقط بينه السيوطي رحمه الله بقوله: " ومرجعها – يقصد المناسبة – في الآيات ونحوها إلى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين " (١).

أقول: أو بحسب ما يراه المجتهد ويستنبطه من أوجه الربط ؛ إذ أن هذا العلم غالبه مبنيٌ على النظر والاجتهاد (٢)، لذلك فإن القاعدة المنضبطة في الكشف عن أسراره وإدراك كنهه ما ذكره السيوطي نقلاً عن بعض المتأخرين قائلاً: " قال بعض المتأخرين: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن ؛ هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام او اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصَّلاً بين كل آية وآية في كل سورة " (٣).

(١) الإتقان: السيوطي: ٣ / ٢٩٩.

(٢) انظر: الوجيز في علوم الكتاب العزيز: د. محمد المجالي: ٢٠٠.

(٣) الإتقان: السيوطي: ٣ / ٣٠٢.

المبحث الثالث: أهمية علم المناسبة وتاريخ التصنيف فيه

المطلب الأول: أهمية علم المناسبة.

لما أن كان موضوع هذا العلم الوقوف على ترابط آيات القرآن وسوره وعلاقتها ببعض والكشف عن دقائق قد تخفى على كثير من أهل العلم فقد كان لهذا العلم الأهمية العظمى عند أهل العلم، ويُجسِّدُ السيوطي تلكم الأهمية بقوله: " علم المناسبة علم شريف، قل اعتناء المفسرين به لدقته... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " (١).

ثم إن الوقوف على هذا أسرار هذا العلم وبدائعه وحسن إشاراته لهو من أهم الأدلة على إعجاز هذا القرآن الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.

وفي ذلك يقول الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره لسورة البقرة: " ومن تأمل في لطائف هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذي قالوا إنه معجزٌ بسبب اسلوبه أرادوا ذلك، إلا إني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قال القائل:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر " (٢).

وكذلك يقول الدكتور السيد أحمد عبد الغفار في أهمية المناسبة: " إن إدراك المناسبة المعقودة في النظم القرآني تفيد كثيراً في حسن التأويل، ودقة الفهم، والإحساس بترابط وتناسق السياق القرآني " (٣).

---

(١) الإتقان: ٣ / ٢٨٨ – ٢٩٩.

(٢) مفاتيح الغيب: ١، وانظر الإتقان: ٣ / ٢٨٩.

(٣) حول القرآن: ٩١.

المطلب الثاني: تاريخ التصنيف في علم المناسبة.

إن الناظر إلى تاريخ علم المناسبة يجد أن أول من أظهره ونبه إلى جلالة قدره، وعاب على العلماء تقصيرهم في الكشف عن أسراره هو الشيخ أبو بكر النيسابوري[١] وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان قول على الكرسي إذا قرئ عليه: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة [٢].

ثم تطور علم المناسبة إلى مرحلة التأليف حيث وجدت التأليفات سواء في المناسبة بين الآيات أم بين السور، ثم تطورت نظرية المناسبة حيث وصلت إلى أوائل القرن العشرين حيث ظهر دور الفراهي بتوضيح نظرية النظام، والشهيد سيد قطب بنظرية الوحدة الموضوعية، والدكتور عبد الله دراز بنظرية النظرة الشمولية للسورة، ويبدو أنهم قد استنبطوا من كلام المتقدمين الذين تحدثوا في موضوع المناسبة القرآنية فخرجوا بعد دراستهم وتأملاتهم للقرآن بالنظرية الجديدة ونستطيع أن نقول أن الشوكاني لو عاصرهم لم امتنع عن قوله بالمناسبة " [٣].

وإذا أردنا أن نرتب تطور التأليف في موضوع المناسبة، فإنه ينقسم إلى قسمين: قسم أُفرِدَ بالتأليف وانصب الحديث فيه عن المناسبة، والقسم الآخر جاء الحديث فيه عن المناسبة تبعاً لموضوعاتٍ أخرى، وإليك بيان ذلك:

القسم الأول: المصنفات المختصة بعلم المناسبة:

١. البرهان في تناسب سورة القرآن: للمفسر أبو جعفر بن الزبير المتوفى ٧٠٨هـ.

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن زياد النيسابوري، حافظ الحديث، كان إمام الشافعية في عصره بالعراق ولد سنة ٢٣٨ه، انظر: الأعلام: الزركلي: ٤ / ١١٩.

(٢) انظر: البرهان: الزركشي: ١ / ٣٦، والإتقان: ٣ / ٣٢٢.

(٣) في مناسبات سور القرآن: محمد يعقوب: ٥، ويشير الباحث أن هذا الافتراض مبني على استسلام الشوكاني وقبوله نظرية النظم حينما فسر قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة الزخرف: الآية ٨١]، انظر: فتح القدير: الشوكاني: ٣ / ٥٦٦.

٢. نظم الدرر في تنسب الآيات والسور، وكذلك كتابه: مصاعد النظر في تناسب الآيات والسور: للشيخ برهان الدين البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ه.
٣. تناسق الدرر في تناسب السور: للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ.
٤. دلائل النظام: للعلامة عبد الحميد الفراهي الهندي المتوفى سنة ١٣٤٩هـ.
٥. جواهر البيان في تناسب سور القرآن: للشيخ أبو الفضل عبد الله الغماري الحسيني.
٦. نظرة العجلان في أغراض القرآن بمناسبات آيه ووحدة موضوعه.
٧. الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره: للدكتور محمد أحمد يوسف قاسم.

القسم الثاني: التفاسير التي عرضت له:

١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٣٨ هـ.
٢. التفسير الكبير المسمى " مفاتيح الغيب ": للإمام العلامة فخر الدين الرازي، ت ٦٠٦ هـ.
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، ت ٦٨٥ هـ.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: للقاضي أبو السعود محمد بن محمد العمادي ٩٨٢ ه.
٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المعاني: للعلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، ت ١٣٤٢ هـ.
٦. تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا، ت ١٣٥٤ هـ.
٧. تفسير المراغي: للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، ت ١٣٧١ هـ.

٨. في ظلال القرآن: للأستاذ الشهيد سيد قطب المتوفى ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م، وكذلك تعرض له في كتابه التصوير الفني للقرآن، وكتابه مشاهد القيامة في القرآن.

هذا فضلاً عما جاء في كتب علوم القرآن من إفراد حيزٍ ليس بالقليل في الحديث عن علم المناسبة كالبرهان والإتقان، فهما عمدة الحديث في هذا الموضوع بالنسبة لكتب علوم القرآن الأخرى.

المبحث الرابع: موقف العلماء من علم المناسبة.

على الرغم مما وقفنا عليه من أهمية انضوى عليها هذا العلم إلا أن العلماء اختلفوا في موقفهم منه بين مؤيدٍ ومعارضٍ ومتوسط في الأخذ به، وإليك بيان ذلك:

المطلب الأول: المؤيدون.

وهو الذين يرون ضرورة الأخذ بعلم المناسبة، وأنه علمٌ حسن يقف به المتأمل على أسرار كتاب الله وروعة تأليفه وبديع سبكه، وعلى هذا جمهور أهل العلم.

ومن هؤلاء الإمام الرازي إذ يقول: " أكثر لطائف القرآن مودعةٌ في الترتيب والترابط " ويقول أبو بكر ابن العربي: " ارتباط آي القرآن بعضه ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علمٌ عظيمٌ لم يتعرض له إلا عالمٌ واحد عمل فيه سورة البقة ثم فتح لنا فيه، فلما لم نجد له حمله، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه " [١].

وإن الناظر إلى تفسير ابن العربي يجد هذا العلم نادراً فيه ؛ ولعل هذا يتفق تماماً مع ما صح به من أنه ختم عليه بعد أن لم يجد حملةً لهذا العلم، وردَّه إلى الله تعالى [٢].

---

(١) البرهان: الزركشي: ١ / ٣٦.

(٢) انظر: ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن: د. مصطفى المشني: ٢٢٤.

وكذلك يقول البقاعي: " المقصود بالترتيب معاني جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر، مباعدةً لمعاني الكلام على أنها منه أخذت، فسبحان من أحكمه وفصله وغطاه وجلاه وبينه غاية الحسن وأخفاه " (١).

المطلب الثاني: المعارضون:

وهؤلاء الفريق يرون عدم القول بالمناسبة وأنها ضرب من التكلف، ومنه من توسط في إنكاره، فكان موقفه منها بين بين كالعز بن عبد السلام حيث يقول: " المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربطٍ ركيكٍ يُصان عن مثله حسن الحديث، فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربطُ بعضه ببعض " (٢).

ومن العلماء من بالغ في إنكاره لهذا العلم، ويمثل هؤلاء الإمام الشوكاني، ومن ذلك قوله عند تفسيره لسورة البقرة حيث الكلام عن بني إسرائيل بعد أن تحدث عن آدم عليه السلام: " اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم بالتكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعقبات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه " (٣).

هذا أهم ما يراه الفريق وتلك هي حججهم.

---

(١) نظم الدرر: ١ / ١٢.

(٢) الإتقان: السيوطي: ٣ / ٢٨٩.

(٣) فتح القدير: ١ / ٧٢.

المطلب الثالث: الرأي المختار:

من خلال النظر في آراء المؤيدين والمعارضين لجواز القول بالمناسبة يتضح لنا أنه لا حق مع الفريق المعارض ؛ إذ ما الحكمة إذن من ذلكم الترتيب التوقيفي للآيات والسور، والتي تجعل الكلام آخذاً بأعناق بعض ! ولا يمكن أن نجتزئ الكلام أو نسلخه عما قبله أو بعده ؛ وإلا فاتنا شيءٌ عظيم من أسرار النظم القرآني الباهر وبديع رصفه ومبناه، ووجوه إعجازه وعظمته ثم إن التسليم بعدم القول بالمناسبة فيه تعطيلٌ للحكمة الداعية إلى تدبر القرآن في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة محمد: الآية ٢٤].

ثم إن ذلكم الترتيب التوقيفي لهو أعظم دليل على وجود التناسب، ولله در الشيخ دراز عندما قال: " إن كانت بعد تنزيلها جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقةً عن جمع، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده، فلما أريد نقله إلى غير مكانه ؛ قُدِّرت أبعاده ورقمت لبناته ثم فرق أنقاضاً فلم تلبث كل لبنة من أن فرقت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشد بعضه بعضاً كهيئة أول مرة "(١).

وعليه، فإن القول بالمناسبة هو الرأي الصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم وهو الذي يكشف عن إعجاز القرآن وفي ذلك يقول الشيخ ولي الدين الملَّويّ: " قد وهم من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملةً إلى بيت العزة، ومن المعجز البين نظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور، يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له " (٢).

وهكذا فإن بذل الجهد في التفكر واستخلاص أسرار هذا العلم أمرٌ لا غضاضة فيه، بل هو من الواجب الذي أُمرنا به من تدبر كتاب الله، ولكن بدون مبالغةٍ أو تكلفٍ من شأنه ليُّ أعناق النصوص تطويعاً للمراد، وبذلك يُجمع بين الرأيين.

---

(١) النبأ العظيم: عبد الله دراز: ١٥٤ – ١٥٥.

(٢) الإتقان: السيوطي: ٣ / ٢٨٩.

الفصل الثاني
موضوعات علم المناسبة
المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها.
المطلب الأول: في حكم أسماء السور ومناسبتها لموضوعاتها [١]:

اعتدنا في كثيرٍ من كتب التفسير عند النظر إلى سبب تسمية السورة أن نجد قولهم: سميت السورة بهذا الاسم لحديثها عن هذا الموضوع، أقول: نعم هذا صحيح ؛ ولكن، لا بد أن يكون اسم السورة موافقاً لمقاصدها ؛ لذلك فلا بد من الوقوف على حكم أسماء السور، فأقول وبالله التوفيق:

إن الصحيح في تسمية سور القرآن التوقيف للأحاديث والآثار الواردة عنه ﷺ، وفي ذلك يقول السيوطي: " وقد ثبت أن جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك " [٢].

ومن الأدلة على لأن أسماء السور توقيفية ما يلي [٣]:

١. وردت نصوص صحيحة في أسماء السور التي ذكر لها أكثر من اسم، ومن ذلك على سبيل المثال: ما ورد من أسماء متعددة لسورة الفاتحة هي "الحمد"، "السبع المثاني"، "أم القرآن"، "فاتحة الكتاب"، وهذه الأسماء ذكرها البخاري في صحيحه في كتاب التفسير.
٢. قول الرسول ﷺ عندما كانت تنزل الآية: ضعوا الآية كذل في السورة كذا، فمن المحتمل أنه كان يذكر أكثر من اسم هذه السورة والله أعلم.

---

(١) للأمانة العلمية، ولأن من بركة العلم أن يُنسب إلى قائله فإنني أنوه بأن فكرة هذا المبحث مستقاة من محاضرات مادة التفسير التحليلي لمرحلتي البكالوريوس والماجستير للأستاذ الفاضل الدكتور مصطفى المشني جزاه الله خيراً.

(٢) الإتقان: ١ / ٩٨.

(٣) انظر هذه الأدلة كاملةً مع التعليق ومناقشتها في كتاب ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن: د. مصطفى المشني: ٢٢١ – ٢٢٣.

٣.تناقل أسماء هذه السور على ألسنة الصحابة رضوان الله عليهم دون إنكار لهذه الأسماء من الرسول أولاً ثم من بعضهم ثانياً، فلو لم تكن توقيفية لورد في ذلك نهي.

ولما أن كان ذلك وهو أن أسماء السور توقيفية فلا بد أن يكون اسم السورة علماً ورشداً يهدي إلى ما احتوته السورة من موضوعات اتحدت في الغاية والهدف وإن اختلفت روافد موضوعاتها، وعليه فإننا نستطيع تطبيق هذه النظرية على جميع أسماء سور القرآن والوقوف على أوجه التناسب بين اسم السورة وموضوعاتها، وسأبين ذلك من خلال مثالين في المطلب القادم إن شاء الله.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية:

المثال الأول: سورة البقرة؛ غالب المفسرين عند ذكر سبب تسمية السورة يذكر حادثة بقرة بني إسرائيل، التي أمرهم الله أن يذبحوها، وهذا صحيح، لكن يستلزم ذلك النظر إلى جميع مقاصد السورة، وهل ينطبق عليها مقصد هذه القصة؟!

إن المتأمل لموضوعات سورة البقرة، وابتدأت به من ذكر الكتاب العظيم، وبيان الخير والهدى فيه، ومن ثم ذكر أصناف البشر تجاه عقيدة التوحيد ومنهج الخير والصلاح، حيث ابتدأت بذكر المتقين الموحدين وصفاتهم، ومن ثم الحديث عن الكفرة وانتكاسهم عن شريعة الهدى ودين الحق، بعد ذلك أسهبت في ذكر المنافقين وأوصافهم، ومن ثم الحديث عن خلق آدم وبدأ الخليفة، وانطلاق شرارة الصراع بين الحق والباطل ممثلةً بقصة إبليس مع آدم وإخراجه من الجنة، ثم ما تبع ذلك من الحديث عن أهل الكتاب، وإيذائهم الأنبياء، وسفكهم الدماء بغير حق، وشغفهم بمتاع الدنيا وسبل الضلال، فجاءت الآيات مصورة لتلكم النفوس التي كادت المادية أن تفتك بها، قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ﴾ [سورة البقرة: الآية ٩٣] ثم ما تبع ذلك من أحكام الصيام والحج والزواج والطلاق، أقول: إن الناظر بعمق إلى مقاصد هذه الموضوعات المتعددة المشارب يجد أنها تدور في دائرة واحدة هي دائرة المادية، وتطهير النفوس من الانصياع لها، وما تسبب عنها من كفر وضلال، وما لقضية المادة من آثار في حياة الفرد

والجماعة متمثلة بالآيات المشتملة على أحكام الصيام والحج، والزواج والطلاق، فكان الجامع العام بين تلكم الموضوعات هذه القضية متمثلة ببني إسرائيل وغرقهم في الغواية والضلالة، وما جاء في السورة من أحكام متنوعة اشتملت على ذلك أيضاً.

وثمة مناسباتٍ أخرى يجدها المتأمل إن حاول الغوص في كنه الآيات مستطلعاً أسرارها، وروعة مقاصدها، كيف لا يكون ذلك وهو كلام الله العظيم المتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال؟!

المثال الثاني: سورة الأنفال: والحديث في هذه السورة عن غزوة بدر الكبرى وما حصل فيها من أحداث، وتمثل هذه المعركة فيصلاً حاسماً في حياة المسلمين، إذ كانت الوقفة الأولى في وجه الكفر والتمرد والأذى الذي لقريش ومن حالفها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هاهنا ما مناسبة هذا الاسم لتلك السورة وقد تنوعت موضوعاتها من حديث عن سنن الله في الكون وقواعد الحرب القتال ؟ لقد اختير هذا الاسم وهو المعبر عن ذلك الاختلاف على الغنائم الحاصل بين الصحابة عشية الغزوة – والذي ما كان ينبغي أن يكون – فجاء ذلك الاسم ليبقى هيئةً مذكرةً للمؤمنين أينما كانوا مذكراً إياهم بذلك التحول العظيم في حياة الأمة أجمع، ثم عبر بالأنفال وهي الزيادة، ليستنهض نفوس المؤمنين ويرتقي بها إلى المعالي ويصل بها إلى مدارج الكمال الإنساني، ويرتقي بفكرهم وتطلعاتهم، فكان ذلك الاسم عنواناً لتلكم الموضوعات.

المبحث الثاني: التناسب الموضوعي في السورة الواحدة.

المطلب الأول: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها.

تنوعت فواتح سور القرآن الكريم(١)، ولعل ذلك يعود إلى الغرض الذي سيقت من أجله الآيات ليتحقق التناسب والتلاؤم بين تلك الفاتحة لتلكم الموضوعات.

ثم إن القول بفاتحة السورة يقصد به الآيات الأولى التي صدرت في السورة وتشير إلى موضوعها، إما آية أو اثنتان أو أكثر كافتتاح سور المؤمنين بإحدى عشرة آية (٢).

"وفواتح السور تعتبر كالابتداء في كلام الابتداء في كلام البشر والابتداء هو أول ما يقرع السمع لذلك ينبغي للمتكلم أن يتأنق في كلامه حتى يكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً وأصح معنى، فإن كان ذلك أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه، وأحسن الابتداء هو ما ناسب المقصود".

ومثال ذلك فاتحة سورة الفرقان لموضوعها:

جاء افتتاح سورة الفرقان بثلاث آيات تضمنت ما يدل على تعاليه جل شأنه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله وعلى كثرة فضله تعالى ودوامه وهي قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [سورة الفرقان: الآيات ١ – ٣].

وتتضح مناسبة فاتحة سورة الفرقان لموضوعها من النواحي التالية:

أولاً: جاء في مقدمة السورة تمجيد الإله الذي أنزل الفرقان الفارق بين الحق والباطل والذي ثبت الثناء والمدح له والذي خضع له ما في السماوات والأرض والذي هو خالق كل شيء، هو الإله الذي اعتنى برسوله ﷺ في مواجهة خصومه

(١) انظر: أنواع فواتح السور في البرهان: الزركشي: ١ / ١٦٥ – ١٨١.

(٢) انظر: في مناسبات سور القرآن: محمد يعقوب: ١٧.

قومه ومقولاتهم المؤذية عنه في تكذيبهم فيما جاءهم به فتلك العناية من هذا الرب تخفف أحزانه وتمسح آلامه.

ثانياً: إخبار الرسول ﷺ أن من جدال قومه له ادعاؤهم بأن القرآن إفك افتراه وأنه أساطير الأولين قد كتبها عنهم، عدا أنه رسولٌ من البشر، فنفى الله افتراءاتهم وذكر بأنه أنزل القرآن ليكون فرقاناً بين الحق والضلال وإشارة إلى أن ادعاءاتهم ناتجة عن مبادئهم الفاسدة، واتخاذهم آلهة من دون الله، وذلك مما يخفف عن رسول الله ﷺ ويكشف همه وغمه، ويطمئن بذلك صدره ﷺ.

ثالثاً: ولاشتمال السورة على ذكر المعاندين لمنهج الله تعالى وتصويرها للمعركة العنيفة بين صاحب الرسالة والمعاندين وما أوقع ذلك الرسول الكريم ﷺ في جهد ومشقة، فاختصت فاتحة السورة بالإنذار دون البشرى إيذاناً لهؤلاء بوقوع العقوبة وتسليةً للرسول ﷺ الذي وقف بمواجهة هذا كله وحيداً فريداً مجرداً من القوة والمال.

المطلب الثاني: مناسبة خاتمة السورة لموضوعاتها:

وتأتي خواتم السور مثل فواتحها في الحسن ؛ وذلك لأنها آخر ما يقرع الأسماء، فلهذا جاءت متضمنةً للمعاني البديعة مع تنبيه السامع انتهاء السامع الكلام حتى يرتفع معه تشوق النفس إلى ما يذكر بعد [١].

ومن هنا فإن لخاتمة السور علاقةٌ بموضوعها ولنأخذ مثال ذلك مناسبة خاتمة سورة الحجر لموضوعها: إن خاتمة هذه السورة هي قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الحجر: الآيات ٩٤– ٩٩].

أما موضوع السورة فهو إبراز طبيعة المكذبين بهذا الدين ودوافعهم الأصيلة للتكذيب وتصوير المصير المخوف الذي ينتظر الكافرين المكذبين.

---

(١) انظر: الإتقان: السيوطي: ٣ / ٢٨٦.

وتتضح مناسبة خاتمة هذه السورة لموضوعها كما يلي [١]:

أولاً: إن خاتمة السورة تذكر الرسول ﷺ بالنعمة العظمى عليه بإنزال هذا الكتاب المبين المعجزة الخالدة لسيد المرسلين وهي مناسبةٌ لموضوع السورة الذي جاء لإبراز طبيعة المكذبين بهذا الدين، وهذه النعمة العظمى تأمره بالصبر والسلوان على ما يلقاه من أذى في سبيل تبليغ الدعوة في مواجهة طبيعة المكذبين بهذا الدين، فتبشره بقرب النصر له وللمؤمنين.

ثانياً: هذا بالإضافة إلى الصبر على الأذى في سبيل الله ؛ فالخاتمة تذكر الرسول ﷺ بشكر الله وعبادته والإكثار من الصلاة والتبتل والطاعة له تعالى وذلك لأنها مصدر القوة في مواجهة العدو.

المطلب الثالث: مناسبة خاتمة السورة لفاتحتها:

إن الناظر في كتب التفسير ليجد كثيراً من الأمثلة على ذلك – وهو الحديث عن المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحتها – والمتأمل لتلك المناسبات يجد أنها تنقسم إلى قسمين لا ثالث لهما:

القسم الأول: مناسبة ظاهرة حيث تُفتح السورة بالموضوع وتُختم به نفسه، وأوضح مثال ذلك مناسبة خاتمة سورة يوسف لفاتحتها: وفاتحة السورة هي قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [سورة يوسف: الآية ١ – ٣]. وقال في خاتمتها: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [سورة يوسف: الآية: ١١١].

ويظهر التناسب بين الفاتحة والخاتمة من عدة وجوه [٢]:

---

(١) ينظر: في مناسبات سور القرآن الكريم: محمد يعقوب: ٣٣ – ٣٤.

(٢) انظر: هذه الأوجه في التناسب: في مناسبات سور القرآن: محمد يعقوب: ٤٥–٥٥.

أولاً: تعيد السورة في ختامها ما ابتدأت به في أولها مؤكدةً أن القرآن تنزيلٌ من عند الله وأنه جليٌ واضحٌ فيما يذكره... وختمت بالقرآن نفسه مؤكدة صدقه ووحيه من عند الله وتوافقه مع الرسالة الإلهية القائمة عند نزوله وتفصيله لكل شيء جاء به وبالأخص ما جاء في وحدة الألوهية وعبادة الله وحده ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [سورة يوسف: الآية ١١١] ثم زادت في الختام تكفله بالهداية والرحمة لمن آمن به ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف: الآية ١١١] (١).

ثانياً: قال الفخر الرازي: " إنه يذكر في أول السورة ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [سورة يوسف: الآية ٣] ثم ذكر في آخرها: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة يوسف: الآية ١١١] تنبيهاً على أن حسن هذه القصة إنما كان لسبب أنه يحصل منها العبرة ومعرفة الحكمة والقدرة " (٢).

كما أن الترابط بين الفاتحة والخاتمة قائم من حيث إن الآيات الأولى هي الممهدة للقصة، والآية الأخيرة في السورة تستهدف أن عود القارئ بفكره إلى نقطة البدء ويعيش أحداث القصة من بعد أن يتأملها حتى ترسخ في نفسه مبادئ لا تتزعزع (٣).

القسم الثاني: خفاء المناسبة حيث تفتح السورة بالموضوع وتختم بغيره، ولكن التناسب في موضوع آخر ومثال ذلك مناسبة خاتمة سورة المؤمنين لفاتحتها ؛ فقد افتتحت السورة بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تحلوا به من أصول الفضائل الروحية والعملية التي بها تزكية النفوس واستقامة السلوك والدخول في مسلك البررة الفالحين، ثم اختتمت بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا

(١) سورة يوسف دراسة تحليلية: د. أحمد نوفل: ٩٦.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٨ / ٢٢٨.

(٣) انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية: د. احمد نوفل: ٩٦.

بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: الآيتان ١١٧ – ١١٨].

فما وجه المناسبة بين الفاتحة والخاتمة ؟

أولاً: ورد في خاتمتها: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١١٧] قال الغماري: " إنه نوعٌ من التناسب بالتضاد بين المطلع والمقطع " (١)، وفي ذلك يقول الزمخشري: " فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ! " (٢)، أما ابن عاشور فيقول: " فيه ضربٌ من رد العجز على الصدر " (٣).

ثانياً: إن نفي الفلاح عن الكافرين في الخاتمة يفيد معنى أن الفلاح يستحقه المؤمنون وليس لغيرهم ؛ لذلك ابتدأت به (٤).

ثالثاً: إن صفات المفلحين التي ذكرت في الفاتحة لم يكتف بها وحدها، بل أكملت بما في الخاتمة وهو دعاء ربهم بالمغفرة والرحمة (٥).

المبحث الثالث: المناسبة بين السورتين المتجاورتين

المطلب الأول: مناسبة فاتحة السورة لفاتحة ما بعدها:

وهو التناسب في مطلع السورتين المتجاورتين ومثاله افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد، فما مناسبة ذلك ؟ قيل: لأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد نحو قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ ﴾ [سورة النصر: الآية ٣] وقولنا في التسبيح: " سبحان الله والحمد لله ".

---

(١) جواهر البيان: الغماري: ٦٧، وانظر: في مناسبات سور القرآن الكريم: محمد يعقوب:٦١.

(٢) الكشاف: الزمخشري:

(٣) التحرير والتنوير: ابن عاشور: ١٨ / ٦.

(٤) انظر: في مناسبات سور القرآن: محمد يعقوب: ٦١.

(٥) انظر: في مناسبات سور القرآن: محمد يعقوب: ٦١.

ونقل السيوطي عن ابن الزملكاني قوله: " بأن سورة " سبحان " لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي ﷺ، وتكذيبه تكذيبٌ لله سبحانه وتعالى أتى بـ " سبحان " لتنزيه الله تعالى عما نسب إلى نبيه من الكذب، وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحي، نزلت مبينة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين، بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة " (١).

المطلب الثاني: مناسبة خاتمة السورة لفاتحة ما بعدها:

ومثال ذلك مناسبة خاتمة سورة آل عمران حيث قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٢٠٠] حيث الآية تذكر التقوى، فناسب ذلك مطلع النساء حيث جاءت تأمر بالتقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ١].

وكذلك أيضاً خاتمة سورة الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٧٣] فإنها جاءت مناسبة لمطلع ما بعدها وهي سورة سبأ، فقد جاءت فاصلة الآية الثانية من مطلع السورة قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سورة سبأ: الآية ٢] (٢).

وهذا – تشابه الخاتمة مع المطلع – ما يطلق عليه في البلاغة " تشابه الأطراف " ومثاله قول الشاعر:

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى داءها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلامٌ إذا هز القناة رواها

(١) الإتقان: السيوطي: ٣ / ٣٠٢.

(٢) انظر: تناسق الدرر: السيوطي: ١٠٣.

المطلب الثالث: التناسب الموضوعي بين السورتين المتجاورتين:

ويقصد به التناسب في مضمون السورتين المتجاورتين من حيث العلاقة بين موضوع كلتا السورتين، وأستطيع أن أجمل الحديث عن هذا الجانب في قسمين رئيسين:

القسم الأول: التناسب الموضوعي بين السورة والتي قبلها:

ومثال ذلك التناسب الموضوعي بين سورة القيامة والتي قبلها المدثر، وذلك من عدة وجوه [١]:

أولاً: كلتا السورتين تتحدثان عن يوم القيامة، ففي سورة المدثر ذكر الله تعالى اعتراف الكفار وهو في سقر بأن من أسباب دخولهم لها تكذيبهم بيوم الدين وهو يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة المدثر: الآيات ٤٢ – ٤٧]، ولما كانت سورة المدثر قد ذكرت اعترافهم عن سبب دخولهم لتكذيبهم بيوم الدين ؛ افتتح هذه السورة بالقسم به، فقال عز من قائل: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة القيامة: الآيتان ١ – ٢] ثم ذكر قدرته على البعث والدليل عليها ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القيامة: الآيتان ٣ – ٤] ثم قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة القيامة: الآيات ٣٦ – ٤٠].

---

(١) انظر: هذه الوجوه في التناسب بين السورتين في تناسق الدرر: السيوطي: ١٣٠، وانظر:كذلك تفسير المراغي: ٢٩ / ١٤٤، وانظر كذلك: في مناسبات سور القرآن: محمد يعقوب ذو الكفل: ٧٥.

ثانياً: ثم ذكر تعالى في سورة القيامة أن لا مجال للفرار عن الحق في يوم الحساب، قال تعالى: ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة القيامة: الآيات ١٠ – ١٢]، أي أنهم في الدنيا يستطيعون الهروب، وأما في الآخرة فلا يستطيعون ذلك، ولا أوضح من مناسبتها لما قبلها إذ أنها مكملة للحديث في السورة السابقة حيث ذكر فيها إعراض الكفار في الدنيا عن التذكرة وكأنهم في نفورهم عن الحق وإعراضهم عنه من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من الأُسد: ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَل يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة المدثر: الآيات ٥١ – ٥٣].

ثالثاً: تتعلق هذه السورة بما قبلها بسبب اشتمالها على حديث الآخرة – كما سبق – لأنه في السورة المتقدمة بيَّن السبب الأصلي في عدم التذكرة وهو إنكار البعث، قال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة المدثر: الآية ٥٣]، ثم ذكر في هذه السورة دليل إثبات البعث ووصف يوم القيامة وأهواله وأحواله ثم ذكر ما قبل ذلك من مقدمة، وهي خروج الروح من البدن ثم ما قبل ذلك من مبدأ الخلق.

القسم الثاني: التناسب الموضوعي بين السورة والتي بعدها:

ومثاله: التناسب بين سورة الفاتحة والتي بعدها وهي البقرة، ووجه التناسب بينهما يتضح من عدة وجوه، أُجملها فيما يلي (١):

أولاً: إن سورة الفاتحة جمعت مقاصد القرآن الكريم، فتضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام والصيانة عن اليهودية والنصرانية، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين وأحكامه، وأسهبت في ذلك.

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآيتان ١ – ٢] فإنه إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [

(١) انظر هذه الأوجه في التناسب بين السورتين في الإتقان: السيوطي: ٣ / ٢٩٧، وانظر كذلك: تناسق الدرر: ٤ – ٦.

سورة الفاتحة: الآية ٦] كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم: الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب.

ثالثاً: ذكر في الفاتحة الطوائف الثلاث ؛ الذين أنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالين، وأشار في سورة البقرة إلى شؤون هذه الطوائف الثلاث: فذكر الذين عليهم هدىً من ربهم، وذكر الذين اشتروا الضلالة بالهدى، وذكر الذين باءوا بغضب من الله.

المبحث الرابع: المناسبة بين الآيات المختلفة

لمعرفة المناسبات بين الآيات الكريمة أسباباً ذكرها العلماء، هذا إذا كانت المناسبة ظاهرة، أما إن كانت مشكلةً وخفيت على الناظر للوهلة الأولى، فإن المتأمل والمتدبر لروح النص لا يلبث أن يستنبطها ويكتشف كنهها، وإليك بيان ذلك في المطلبين القادمين كل نوع منهما، ممثلة لكل مطلبٍ بما تتضح به الصورة.

المطلب الأول: الأسباب الظاهرة للمناسبة بين الآيات:

ذكر العلماء للمناسبة بين الآيات أسباباً مختلفة، وسأبينها في المطلب القادم إن شاء الله ممثلةً لكل نوع منها بمثال.

أولاً: التنظير: لأن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء، كقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ [سورة الأنفال: الآية ٥] عقب قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤] ؛ فإنه تعالى أمر رسوله أن يعطي لأمره في الغنائم على كرهٍ من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون، والقصد أن كراهيتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهيتهم للخروج، وقد تبين في الخروج الخبر من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام، وكذا يكون فيما فعله في القسمة، فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم.

ثانياً: المضادة: كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٦] فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن، وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء [(١)].

ثم يعقب السيوطي على ذلك قائلاً: " فإن قيل هذا جامع بعيد لأن كونه حديثاً عن المؤمنين، بالعرض لا بالذات، والمقصود بالذات هو مساق الكلام، إنما هو الحديث عن القرآن لأنه مفتتح القول، قيل: لا يشترط في الجامع ذلك بل يكفي التعلق على أي وجه ويكفي وجه الربط ما ذكرناه ؛ لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به، والحث على الإيمان ؛ ولهذا لما فرغ من ذلك قال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٣] فرجع إلى الأول " [(٢)].

ثالثاً: الاستطراد: وهو المرور بذكر الأمر الذي استطرد إليه مروراً كالبرق الخاطف ثم تركه والعود إلى ما كنت فيه، كأنك لم تقصده وإنما عرض عروضاً، ويذكر السيوطي مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٢٦] ثم ينقل قول الزمخشري: " هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدوِّ السوءات وخصف الورق عليهما، لما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن الستر بابٌ عظيم من أبواب التقوى " [(٣)].

---

(١) انظر: الإتقان: السيوطي: ٣ / ٢٩٠.

(٢) انظر: الإتقان: السيوطي: ٣ / ٢٩١.

(٣) الكشاف: الزمخشري:

رابعاً: حسن التخلص: وهو من الاستطراد وهو الانتقال مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجهٍ يُختلس اختلاساً، دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما (١).

ومثال ذلك ما جاء في سورة الأعراف وهي تذكر بالتفصيل قصص الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثم ذكر موسى إلى أن قص حكاية رجلاً، ودعائه لهم ولسائر أمته، قال تعالى: ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٦].

وفي الآية التي تليها يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٧] وهنا يلحظ تخلصا من الآية السابقة إلى التي تليها بذكر سيد المرسلين بعد التخلص في قوله تعالى: ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٦].

ثم تكلمت الآية عن صفات المتقين، ثم تخلص إلى أنهم هم الذي يتبعون الرسول الأمي، وأخذت الآية تعدد صفاته الكريمة ﷺ، وهكذا تنتقل الآيات في تخلص حسن، تستطرد وتوضح، ومن هنا تتضح ظاهرة التناسب بين الآيات في تنقل وربط بوحي بإعجاز القرآن في بلاغته وفصاحته (٢).

---

(١) انظر: الإتقان: السيوطي: ٣ / ٢٩١ ثم إن الحديث عن حسن التخلص في القرآن الكريم لا غضاضة فيه لأن القرآن بمثابة المعلم لمن أراد الانتقال من اسلوب الى اسلوب، وكيف يكون ذلك، وكيف يكون التخلص في هذا الانتقال حسنا مقبولاً عند السامع، مما يدعو للحديث عن التخلص في القرآن الكريم واعتباره لوناً من ألوان المناسبة، انظر: حول القرآن: د. عبد المجيد محمود: ١٤٠.

(٢) انظر: الإتقان: ٣ / ٢٩٢، وانظر حول القرآن: ١٤٠ – ١٤١.

مما سبق من أمثلة يتضح لنا الفرق بين التخلص والاستطراد أنك في التخلص تترك ما كنت فيه بالكلية وتقبل إلى ما تخلصت إليه، أمل في الاستطراد فإنك تعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده [١].

المطلب الثاني: المناسبة المشكلة في الآيات

إن من الآيات ما أشكلت مناسبتها على المفسرين، ونظير ذلك قوله تعالى في سورة القيامة ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة القيامة: الآيتان ١٦ – ١٧] فإن وجه مناسبتها للآية قبلها غير ظاهر، وفي ذلك يقول السيوطي: " فإن مناسبتها لأول السورة وآخرها عسرٌ جدا، فإن السورة كلها في أحوال يوم القيامة، حتى زعم بعض الرافضة أنه سقط من السورة شيء... "[٢].

والصحيح أنه لا إشكال في ذلك، وقد ذكر الأئمة لها مناسبات، منها: أنه تعالى لما ذكر القيامة وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه ؛ وهو الإصغاء إلى الوحي، وتفهُّم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك، فأمر بألا يبادر إلى التحفظ ؛ لأن تحفيظه ؛ مضمون على ربه، وليضع ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه، ثم لما اشتملت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلق بالإنسان المبتدأ بذكره ومن هو من جنسه، فقال: ﴿ كَلَّا ﴾، وهي للردع، كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون في كل شيء، ومن ثم تحبون العاجلة " [٣]

ومن هذه المناسبات أن أول السورة لما نزل إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [سورة القيامة: الآية ١٥] صادف أن النبي ﷺ في تلك الحالة، بادر إلى تحفظ الذي نزل، وحرك به لسانه من عجلته ؛خشيةً من تفلته، فنزل ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ

(١)انظر: الإتقان: ٣ / ٢٩٢، وانظر حول القرآن: ١٤٠ – ١٤١.
(٢) الإتقان: ٣ / ٢٩٤.
(٣) انظر: الإتقان: ٣ / ٢٩٤.

﴿ بِهِۦ ﴾ [سورة القيامة: الآية ١٦] إلى قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [سورة القيامة: الآية ١٩]، ثم عاد إلى تكملة ما ابتدأ به [١].

وثمة مثالٌ آخر على المناسبة المشكلة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: الآية ١١٥] فقد يقال: ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ ؟ [سورة البقرة: الآية ١١٤].

في بيان هذه المناسبة بين الآيتين قال الجويني في تفسيره: " سمعت أبا الحسن الدهان يقول: وجه اتصاله، هو أنذكر تخريب بيت المقدس قد سبق، أي فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوه فإن لله المشرق والمغرب " [٢].

يتضح مما سبق أنه حتى الآيات التي قد تشكل على البعض مناسبتها، فإن المتدبر والناظر بعين البصيرة لتلكم الآيات لا يفتأ يكشف عن أسرارها ويتذوق روعتها، فيزداد الإيمان رسوخاً، ويمتلأ القلب يقيناً، كيف لا وهذا الكلام معجزة الله الخالدة التي لا تخلق على مر الأحداث والسنين.

(١)انظر: الإتقان: ٣ / ٢٩٤.

(٢)انظر: الإتقان: ٣ / ٢٩٤.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على نبيه، وآله وصحبه، وبعد:

فهذا وقت ليس بالقصير أمضيته في ربوع البحث والتمحيص، والكشف والإيضاح لذلكم العلم العظيم، ألا وهو علم المناسبة، وأستطيع أن أسجل في هذه الخاتمة أهم ما كان في هذه الدراسة من نتائج، فأقول وبالله التوفيق:

يشكل علم المناسبة ركناً مهماً من علوم القرآن، ووجهاً قوياً من وجوه الإعجاز وهذا الكلام يستند إلى الحقائق التالية:

- إن ترتيب الآيات والسور على هذا النحو الذي نراه اليوم في المصحف ترتيبٌ توقيفي، وكذلك أسماء السور.
- لم يرتب القرآن وفق نزوله ؛ فدل ذلك على التناسب في ترتيبه.
- الوقوف على المناسبة هو الوقوف على أوجه الترابط والتلاؤم بين أسماء السور وموضوعاتها من جهة، وبين السور، وبين الآيات من جهة أخرى.
- هناك تناسب بين فواتح السور، وخواتمها، وهناك تناسب الخواتم للفواتح.
- هناك أسباب ظاهرة تعرف من خلالها المناسبات بين الآيات، كما أن هناك مناسبات مشكلة، ولكنها لا تلبث أن تنكشف أمام التمحيص والغوص في مكنون الآيات.
- يقوم علم المناسبة في غالبه على الاجتهاد، لكنه الاجتهاد المنضبط، وفق أصول الدين ومنهجه والبعد عن التكلف والتبعية.

هذا أهم ما ورد في هذا البحث من نتائج، سائلاً المولى عز وجل حسن القبول وتحقيق المقصد.

قائمة المصادر

- القرآن الكريم.

١. ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن، دراسة وتحليل، د. مصطفى المشني، دار عمار/ عمان، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
٢. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الفكر/ بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٣. إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان/ عمان، ط١، ١٩٩٧م.
٤. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر/ بيروت، ط ٣، ١٩٨٠ م.
٥. التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.
٦. التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧م.
٧. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
٨. تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.
٩. حول القرآن (التاريخية، المثل، المناسبة)، د. السيد أحمد عبدالغفار، دار المعرفة / بيروت.
١٠. جواهر البيان، الشيخ الغماري، دار الفكر/ بيروت.
١١. سورة يوسف (دراسة تحليلية)، د. أحمد نوفل، دار الفرقان/ عمان ١٩٨٩م.
١٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٥٤م.
١٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء/ مصر، ١٩٩٤م.

١٤.في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥.في علوم القرآن، د. أحمد حسن فرحات، دار عمار / عمان، ط١، ٢٠٠١م.
١٦.في مناسبات سور القرآن الكريم، محمد يعقوب ذو الكفل، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية، إشراف الدكتور: أحمد نوفل، ١٩٩٢م.
١٧.مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار صادر / بيروت.
١٨.مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث العربي / بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
١٩.النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت.
٢٠.نظم الدرر، البقاعي، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٩٩٨م.
٢١.الوجيز في علوم الكتاب العزيز، د. محمد المجالي، ط١،٢٠٠٤م.